﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المُـفـتَرون هم أشـدُّ الـنَّـاس خسـارةً؛ باعوا منازلَ الجِنانِ؛ فعَظُم الذَّنبُ وزادَ الخُسرانُ

لمَّا بالغ المجْرِمون في ادّعاءاتِهم وافتراءاتِهم على ربِّ العالمين ﷻ؛ أخبرَ أنّهم الأشدُّ خُسرانًا، وقد ضلَّ سعيُهم مع حُسبانِهم أنّهم يُحسنون صُنعًا؛ حيث إنّهم استبدلوا الدّركاتِ بالدّرجاتِ، والخبيثَ بالطيّب؛ فاجتمع لهم بذلك ما افترقَ بين الأممِ الضّالّةِ من أسباب الشّقاءِ والعذابِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَرَمَ﴾: الجَرْمُ: القَطْعُ، وجَرَم النّخلَ يَجرِمه جَرْمًا، واجترمه يَجترمه اجتراما: قطعَه[2]. وأصلُ هذا الجذرِ يدورُ حول معنى القطعِ[3]، والجريمةُ والجُرمُ: الذَّنبُ. يقال: جرَمَ وأجرمَ جُرمًا وإجرامًا: إذا أذنبَ. والجارمُ: الجاني، والمجترِمُ: المذنبُ[4]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ [المائدة: 2]. أي: لا يَحملنَّكم بغضُ قوم[5]. و(لا جرَمَ)، هي في الأصل بمعنى: لا بدَّ، ولا محالةَ، ويُفسَّر بمعنى حقًّا. ومِن ذلك قولُ الله ﷻ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾. أي: حقًّا إنّهم في الآخرة همُ الأخسرون[6].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/288، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/334، والبقاعي، نظم الدرر: 9/259، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/38.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المجمل، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جرم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جرم).

(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المجمل، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جرم).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جرم).

(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جرم).

2) ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾: الخُسْر والخُسْرانُ: النَّقصُ، يقال: خَسِر يَخْسَر خُسْرًا وخُسْرَانًا؛ أي: نقصَ. ويقال: كِلتُه ووَزَنْته، فخَسَرْته وأخْسَرْته: نَقَصْته وأنْقَصْته[1]. وأصلُه يدورُ حول معنى نقْصِ الشَّيء بذهاب أجزاءٍ منه[2]. ويُستعملُ الخُسران في "المُقتنيات النَّفسيِّةِ كالصِّحَّة والسَّلامةِ، والعقلِ والإيمانِ، والثَّوابِ، وهو الذي جعلَه اللّه تعالى الخُسرانَ المبينَ"[3]. وخَسِر خُسْرًا وخُسْرَانًا وخَسَارة وخَسَارًا، فهو خاسرٌ وخَسِرٌ، كلُّه بمعنى: ضلَّ. ومنه قولُ اللّه ﷻ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾[4] [الحج: 11]. وأما قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾. أي: "لا أحدَ أبينُ وأكثرُ خُسرانا منهم"[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المُشركون باللّه هـمُ الأخسَرون بلا شكٍّ في الدُّنيا والآخرةِ

لا محالةَ ولا شكَّ في أنَّ عاقبةَ هؤلاء الَّذين ذكرتُهم ممِّن اتَّصَفوا بهذه الصِّفاتِ من المشركين في الآخرة أنَّهم أشَدُّ النَّاسِ عذابًا وخُسرانًا؛ لحرمانِهم النَّعيمَ المخَلَّدَ، واستبدالِ العذابِ المؤبَّدِ به، وذلك هو الخُسران الواضحُ المبينُ[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الاستئناف في ﴿لَا جَرَمَ﴾:

نتيجةُ الافتراءاتِ خَسارةُ الجنّاتِ

قولُه تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ جملةٌ مُستأنَفةٌ واقعةٌ موقعَ النَّتيجةِ للجملِ المتقدِّمةِ من قوله تعالى:

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خسر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خسر).
(3) الرّاغب، المفردات: (خسر).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (خسر).
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/132، والآلوسي، روح المعاني: 6/233.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 12/373، والمراغي، تفسير المراغي: 12/22.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [هود: 18]؛ لأنَّ ما جُمعَ لهم منَ الزَّجِّ للعقوبةِ، ومنِ افتضاحِ أمرِهم، ومن إعراضِهم عنِ استماعِ النُّذُرِ، وعنِ النَّظرِ في دلائلِ الوَحدانيَّةِ؛ يوجبُ اليقينَ بأنَّهم الأخسرون في الآخرة[1]. فقولُه تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ زيادةٌ في تأكيد خُسرانِهم[2]؛ ولذلك حسُنَ الفصلُ بين الجُملتَين لِما بينَهما من شِبْه كمالِ الاتِّصال.

معنى ﴿لَا﴾ في ﴿لَا جَرَمَ﴾ ودَلالتُها:

الـكـافِـرون لا مَحالةَ خاسِرون

﴿لَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ نافيةٌ للجنسِ، و﴿جَرَمَ﴾ اسمُها مبنيٌّ معها على الفتح، وهي واسمُها في محلِّ رفعٍ بالابتداء، وما بعدَهما خبرُ ﴿لَا﴾ النَّافية، ومعناها: (لا محالة ولا بدَّ)[3]. وهذا التَّأويلُ؛ أي: تأويلُ ﴿لَا﴾ بأنَّها النَّافيةُ للجنس ممّا يفيدُ التَّوكيدَ؛ لأنَّها تَنفي خبرَها عن جميع جنْسِ اسمِها، وهذه الدِّلالةُ تأتي مَتَّسقةً مع باقي المُؤكِّداتِ في الآية.

معنى ﴿جَرَمَ﴾ ودَلالتُه:

خُـــسـران الكافرين واقعٌ مُحقَّقٌ

﴿جَرَمَ﴾ معناه: (حقًّا) هو مأخوذٌ من ذلك؛ فإنَّ ما لا بُدَّ ولا مَفَرَّ منه هو واقعٌ حقًّا[4]. فاتَّضحَ من هذا أنَّ تفسيرَها بـ (حقًّا) هو تفسيرُ معنًى لمجموعِ الكلمتَيْن؛ لأنَّه إذا نُفِيَ في مثل هذا السِّياقِ الظَّنُّ ثبتَ اليقينُ والقطعُ[5]، وعليه فإنَّ ﴿لَا جَرَمَ﴾ كلمةُ جزمٍ وتأكيدٍ ويقينٍ، جرتْ مجرَى المَثَلِ[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/38.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/186.
(3) السمين الحلبي، الدر المصون: 6/303، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39، والسامرائي، معاني النحو: 1/384 - 385.
(4) جبل، الاشتقاقي المؤصل: (جرم).
(5) البقاعي، نظم الدرر: 9/262.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/38، والفراء، معاني القرآن: 2/8.

بَلاغةُ الجملةِ الاسميَّةِ في هذا السِّياق:

الكافرون في الآخرة ثابتون على حال الخسارة؛ فهم في النّارِ خالِدون

قولُه تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ جملةٌ اسميَّةٌ، وللجملةِ الاسميَّةِ خصائصُها التي تُميِّزها عنِ الفعليَّةِ، منها: أنَّها أدلُّ على حصول المطلوبِ منَ الجملةِ الفعليَّةِ[1]، وأنَّها تدلُّ على الثُّبوت والدَّوامِ بقرينة المقام[2]، ولمَّا كان المقامُ مقامَ تأكيدٍ لخسارة هؤلاء الكافرين البُعداءِ عن كلِّ خيرٍ ورحمةٍ وفضلٍ ناسبَه أنْ يُعبَّر فيه بالجملةِ الاسميَّةِ الدَّالَّةِ على الثُّبوتِ؛ لتدلَّ على أنَّ خَسارَتهم أمرٌ ثابتٌ مُتحقِّقٌ لا شكَّ فيه، كما أنَّه دائمٌ لن يتغيَّرَ.

موقعُ المصدر المؤول ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ ودَلالتُه:

خَسارةُ الكافرين كبيرةٌ وهي واقعةٌ لا مَحالةَ

قولُه تعالى: ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ مصدرٌ مؤوَّلٌ مكوَّنٌ من أنَّ واسمِها وخبرِها، في محلِّ جرٍّ بحرف جرٍّ محذوفٍ تقديرُه (في) أو (من)؛ أي: لا محالةَ في أنَّهم، أو لا بُدَّ من أنَّهم. وهو متعلِّقٌ بخبرِ (لا)[3]. وهذا أمرٌ يكثرُ: أنْ يجيء بعد (لا جرم) أنَّ واسمُها وخبرُها فتكونَ (أنَّ) معمولةً لحرف جرٍّ محذوفٍ، والتّقديرُ: لا جرم من أنَّ الأمرَ كذا. ولِما فيها من معنى التَّحقيقِ والتَّوثيقِ؛ تعامَلُ معاملةَ القسَم، فيجيءُ بعدَها في ما يصلحُ لجواب قسَمٍ، نحوَ: لا جرمَ لأفعلنَّ[4].

سِرُّ التَّوكيدِ بـ ﴿أَنَّهُمْ﴾:

خَسارةُ الكفرةِ لا مَحالةَ مُحقّقةٌ

في قولِه تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ توكيدٌ بـ (أنَّ). وفائدةُ التَّوكيدِ بها إفادةُ التَّحقيقِ مع تجنُّبِ التَّكرارِ؛ إذ إنَّها تنوبُ منابَ تكريرِ الجملةِ مرَّتين. وتكونُ مع ما بعدَها في تأويلِ مصدرٍ، فتقلبُ معنى الجملة إلى الإفراد، وتصيرُ في مذهبِ المصدرِ المؤكِّدِ[5].

(1) الزركشي، البرهان: 4/178.
(2) الصعيدي، بغية الإيضاح: 1/187.
(3) محمود صافي، الجدول: 6/244.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39.
(5) ابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/526.

سِرُّ التَّوكيدِ بضميرِ الفصْلِ ﴿هُمُ﴾:

الضَّميرُ المنفصلُ في قولِه تعالى: ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ ضميرُ فصْلٍ يفيدُ القصْرَ[1]، وجيءَ به لإفادة تأكيدِ الاختصاصِ. وإنْ جُعِل مبتدأً وما بعدَه خبرُه، والجملةُ خبرُ (أنَّ) أفادَ تأكيدَ الحُكم[2]، وسِرُّ التَّوكيدِ به أنَّه لمَّا كان المقامُ جديرًا بالمبالغةِ في وصْفِهم بالخسارةِ، أُعيدَ الضَّميرُ، فقال تعالى: ﴿هُمُ﴾؛ أي: خاصَّةً ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾[3].

أكثرُ النّاسِ خَسارةً هم هؤلاء الكافِرون

بَلاغةُ القصْرِ في ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾:

يجوزُ أن يكونَ قولُه تعالى: ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ مبتدأً وخبرَه، وأن تكونَ الجملةُ الاسميَّةُ ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ في محلِّ رفعٍ خبرَ (أنَّ)[4]. وإذا كان ذلك كذلك فإنَّ طرفَي الإسناد جاءا مَعرفتَيْن، الأوَّل كونُه ضميرًا، والثَّاني لوجودِ (أل). وتعريفُ الجُزأين يفيدُ الحصرَ حقيقةً أو مبالغةً[5]. وهو هنا قصرٌ ادِّعائيٌّ؛ لأنَّهم بلَغوا الحدَّ الأقصَى في الخسارة، فكأنَّهم انفرَدوا بالأخسريَّةِ[6]، فهذا القصْرُ أفادَ حصْرَ الخسارِ فيهم، بل جعلَ لهم منه أشَدَّه لشدَّةِ حسْرتِهم وحِرمانِهم وما يُعانون منَ المشقَّةِ والعذابِ، نَستجيرُ باللّه من حالِهم[7]! وهذا كلُّه ممَّا أفادَ التَّوكيدَ مع ما سبقَه مِنَ التَّعبير بأسلوبِ ﴿لَا جَرَمَ﴾، والتَّوكيدِ بـ (أنَّ) وجُملتِها الاسميَّةِ؛ "لأنَّ القصْرَ ليس إلا تأكيدًا على تأكيدٍ"[8].

الكافِرون في الآخرةِ أشدُّ خُسرانًا، وأوفرُ - منَ الخيراتِ - نُقصانًا

الغرَضُ من تقديمِ المَجرورِ ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ لإفادة نُكتةِ التَّخصيص، فإنَّ

حياةُ الكافرين خُسرانٌ دائمٌ؛ فالآخرةُ هي الحيوانُ، والحياةُ الدّنيا قصيرةٌ زائلةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 6/233.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/259.
(4) السمين الحلبي، الدر المصون: 6/305، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 5/155.
(5) السيوطي، الإتقان: 3/173.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39.
(7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 380.
(8) الصعيدي، بغية الإيضاح: 2/232.

الكافرين الصّادّين عن سبيلِ الله تعالى - وإن كانوا في الدُّنيا منَ الفائزين بمالٍ أو جاهٍ - فإنَّهم لا محالةَ خاسِرون في الآخرة، فالتَّقديمُ هنا لتخصيصِ الخسارةِ بالآخرة؛ إذ هي ميزانُ الأعمالِ الحقُّ لأنَّها الباقيةُ، أمَّا الدُّنيا فهي ذاهبةٌ فانيةٌ، ويُضافُ إلى نُكتة التَّخصيصِ نُكتةٌ أخرى هي أنَّهم لمَّا بالَغوا في إنكار الآخرةِ كانت خسارتُهم مخصوصةً بما أنكروه[1]؛ ليكونَ ذلك أنْكى في تبْكيتِهم وتعذيبِهم.

دَلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ التَّفضيلِ ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾:

المَغبونون وصَلوا في الخُسران إلى حدٍّ يتقاصَرُ عنه غيرُهم

عُبِّر عنِ الكافرين الصّادّين عن سبيل الله بأنَّهم ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾، وإنَّما كانوا أخسَرين؛ لأنَّهم اجتمعتْ لهم خسارةُ الدُّنيا والآخرة[2]، ولأنَّهم خسِروا أنفسَهم، ولمَّا كان خُسرانُ النّفسِ أعظمَ الخُسران، حكمَ عليهم بأنَّهم همُ الزَّائدون في الخُسران على كلِّ خاسرٍ سِواهم مِن العُصاةِ مآلُه إلى الرَّاحةِ وإلى انقطاعِ خُسرانِه، بخلاف هؤلاء؛ فإنَّ خُسرانَهم لا انقطاعَ له[3]، فأفعلُ التَّفضيل للزِّيادةِ إمَّا في الكَمِّ وإمّا في الكيفِ[4]، وأفعلُ التَّفضيلِ هنا يدلُّ على أقصَى درجاتِ الخسارة؛ أي: لا خسارةَ فوقَها أو مثلُها، بل هي فوق كلِّ خسارةٍ، ذلك أنَّها خسارةٌ مُؤدَّاها البقاءُ في الجحيم خالدين فيها إلى ما شاء الله تعالى[5].

الغرَضُ منَ الاستعارةِ في ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾:

خَسارةُ المعنى أشَدُّ من خَسارةِ المادّةِ

في قولِه تعالى: ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ عبِّر عمَّا لحقَهم منَ الضُّرِّ بالخسارةِ على جهة الاستعارةِ؛ لأنَّه ضُرٌّ أصابَهم من حيث كانوا يَرجون المنفعةَ، فهُم مثلُ التُّجَّار الذين أصابَتْهمُ الخسارةُ من

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/259.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/138.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/233.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3694.

حيث أرادوا الرِّبحَ[1]؛ ذلك أنَّهم اشتَرَوا عبادةَ الآلهة بعبادةِ الله، فكان خُسرانُهم في تجارتِهم ما لا خُسرانَ أعظمُ منه لأنَّهم خَسروا أنفسَهم[2]، وباعوا منازلَهم منَ الجِنان بمنازل أهلِ الجنَّة منَ النَّار؛ وذلك هو الخُسران المُبينُ[3].

دَلالةُ اللّام في ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ ومعناها:

خَسارةُ الكافِرين أكملُ الخَساراتِ

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ هي لامُ الجنسِ التي تفيدُ الاستغراقَ، والمقصودُ بها هنا استغراقُ صفاتِ الخَسارةِ؛ "أي: همُ الكاملون في الخُسران، كأنَّ خُسران غيرِهم في جنب خُسرانِهم ليس بخُسرانٍ"[4]، فتعريفُ المُسندِ بلام الجنس يفيدُ الحصْرَ[5]؛ أي: حصْرَ صفةِ الخُسران فيهم.

نُكتةُ حذْفِ المفضَّلِ عليه في ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾:

لا أحـدَ أكـثرُ خُسرانًا منهم؛ باعـوا النَّعيمَ المخلَّدَ واشتَرَوا به العذابَ المؤبَّدَ

بُنِيَ قولُه تعالى: ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ بناءَ أسلوبِ التَّفضيلِ، وذُكرَ فيه المُفضَّلُ عليه، وحُذفَ المفضَّلُ عليه؛ وذلك لإفادةِ نُكتةٍ بلاغيَّةٍ وهي: "أنَّ حذْفَ المفضَّلِ يفيدُ العمومَ، فيكونُ المعنى: أنَّهم أخسَرُ من كلِّ أحدٍ، وهو بمنطوقِه يفيدُ الأخسريَّةَ فيهم"[6].

نُكتةُ تَوالي المُؤكِّداتِ وتنوُّعِها في الآية:

إنكارُ الكافرين يُناسبُه توكيدُ العذابِ الواقعِ بهم بأكثرَ من مُؤكِّدٍ

في قول الحقِّ ﷻ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ توالتِ المُؤكِّداتُ وتنوَّعت.. فأمَّا بالنَّظرِ إلى الجُملِ فنجدُ أنَّ الآيةَ قد تضمَّنت ثلاثَ جُملٍ، وكلُّها اسميَّةٌ، الأُولى هي قولُه تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾، والثَّانيةُ هي قولُه تعالى: ﴿أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾. والثَّالثةُ هي قولُه تعالى: ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/39.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/386.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/373.
(4) الطيبي، حاشية على الكشاف: 8/47.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 6/233.
(6) الشهاب، حاشية على البيضاوي: 5/87.

ولمَّا كانتِ الجُملةُ الاسميَّةُ تفيدُ الثُّبوتَ والدَّوامَ كان التَّعبيرُ بها يدلُّ على الاستقرارِ، وهذا ممَّا يفيدُ التَّوكيدَ؛ أي أنَّ الأمرَ ثابتٌ على هذه الصِّفة لا يتغيَّرُ. وأمَّا بالنَّظرِ إلى الأحرُفِ فنجدُ أنَّ المُؤكِّداتِ قد تمثَّلت في (لا) النَّافيةِ للجنس، التي تؤكِّدُ نفيَ خبرِها عن جميع جنْسِ اسمِها، و(أنَّ) المُشبَّهةِ بالفعل والمُفيدةِ التَّوكيدَ، والضَّميرِ المنفصلِ (هم)، ولامِ الجنْسِ في ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾. وأمَّا بالنَّظرِ إلى الأساليبِ والصِّيغِ فنجدُ أنَّ المؤكِّداتِ قد تمثَّلت في أسلوبِ (لا جرم) الذي يفيدُ تأكيدَ الحصولِ بقطع النَّفي، مع تضمُّنِه معنى القسَمِ، وتقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، والقصْرِ بتعريف طرفَيِ الإسنادِ في ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾. وهذا الحشدُ الكبيرُ منَ المؤكِّداتِ في آيةٍ قليلةِ المبنى يدلُّ دلالةً قاطعةً على عظَمِ الجُرمِ الذي اقترفَه أولئك الكفرةُ الفجرةُ، وما ترتَّبَ عليه من عِظَمِ العذابِ يومَ القيامة. وقد حسُنَ تَوالي هذه المُؤكِّداتِ؛ لأنَّ الخطابَ مُوجَّهٌ إليهم وهم مُنكرون لِما فيه، مُعرِضون عنه، مُستهزِئونَ به، فأُكِّدَ بأكثرَ من مُؤكِّدٍ؛ لأنَّه مُوجَّهٌ إلى مخاطَبٍ مُنكِرٍ، وهذا من باب إقامة الحُجَّةِ، وقطعِ العُذرِ.

مُتشابهُ النَّظمِ:

جاء قولُه تعالى: ﴿هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ في سورة هود هنا، وجاء في مقابلِه في سورة النحل: ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾ [النحل: 109]، فما علَّةُ ذلك مع اتِّفاق أوَّلِ الآيتين؟

إنَّ الآيةَ التي في سورة (هود) قد تقدَّمَها قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾، فأخبرَ عنِ السَّبب الذي من أجلِه استحقُّوا أنْ ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾، وهو أنَّهم ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾ [هود: 19]، فقد صدّوا

الـجـــزاءُ مِـن جنْسِ العملِ، ومَن ضلَّ وأضلَّ كان جُرمُه أعظمَ وعقابُه أشقَّ

عنِ الدّين صُدودًا، وصَدّوا غيرَهم عنه صدًّا؛ فاستحقُّوا تضعيفَ العذابِ؛ لأنَّهم ضلُّوا وأضلُّوا، فمِن ثَمَّ كانوا (أخسرين).

وأمَّا الآيةُ التي في سورة (النَّحل) فإنَّه لم يُخبرْ فيها عنِ الكفَّار بأنَّهم مع ضلالِهم أضلُّوا غيرَهم، وإنَّما قال فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل: 107]، فلم يذكرْ ما يوجبُ مضاعفةَ العذاب، ولا أنَّهم تسبَّبوا في ضلالِ غيرِهم، فكانوا أقلَّ منَ المذكورين في سورة هود؛ فلذا كانوا (خاسرين)[1].

ويُضافُ إلى ذلك أنَّ آيةَ "هود" تقدَّمَها ما يُفهِمُ المفاضَلَةَ، فإنَّ قولَه تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [هود: 17]، يُفهمُ من سياقه أنَّ المرادَ: أفمَن كان على بيِّنة من ربِّه كمَن كفرَ وجحدَ وكذَّبَ الرُّسلَ؟ ثمّ أتبعَ هذا بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [هود: 18]، فهذا صريحُ مفاضلةٍ، ثمَّ استمرّتِ الآيُ في وصفِ مَن ذُكر، وعرْضِهم على ربِّهم، وقولِ الأشهاد: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [هود: 18-19] إلى ذكْرِ مضاعفةِ العذاب لهم، واستمرَّ ذكرُهم إلى قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: 22]، فناسبَ لفظُ الأخسرين بصيغة التَّفاضُلِ، ومقصودُ التَّفاوتِ ما تقدَّم ممّا يُفهم ذلك[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجَرْمُ، والشَّكُّ:

أصلُ الجرم القطعُ. يقال: جرمَ التّمرَ: صرمَه، أي: قطعَ عذوقَه المتدلّيةَ منَ النّخل جَنْيًا له، والجُرامةُ: ما سقطَ منَ التّمر إذا جُرِم، ويقال: جَرَمتُ صوفَ الشّاة وأخذتُه. وجرَّمنا هذه السّنةَ، أي: خرجنا منها، وجرَّمنا القومَ: خرجنا عنهم[3]، وتلك الاستعمالاتُ تُعطي معنى الانفصالِ، ومنه (لا جرم) أي: لا فكاكَ ولا انفصالَ[4]. وعلى هذا معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾، أي: لا قطْعَ قاطعٍ عن أنّهم في الآخرة همُ الأخسرون، إلَّا أنه كثرَ حتى صار

(1) الإسكافي، درة التنزيل: 2/753، 755، والكرماني، أسرار التكرار، ص: 143.
(2) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/254.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جرم).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جرم).

كالمَثلِ، فإذا قالوا: لا جرمَ، فكأنهم قالوا: حقًّا، والأصلُ ما ذُكِر، ووُضِع موضعَ القسَم في قولهم: لا جرمَ لأفعلَنَّ كذا، كما قالوا: حقًّا لأفعلنَّ، إذ جعلوه بدلاً منَ اليمين[1]، وقد عُلمَ من هذا أنَّ جميعَ تصاريفِ المادَّةِ تدورُ على الاضطرابِ وهو بيِّنٌ في غير العقلِ، وأمَّا فيه فإنَّه بقدرِ العقلِ يكون اضطرابُ الرَّأي؛ لأنَّ العاقل كلَّما أنعم النَّظرَ انفتح له ما كان مُغلقًا فيعدِلُ إليه، فإذا ظهر هذا ظهرَ أنَّ معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا ظنَّ ولا اضطرابَ في أنَّهم، ويكونُ نفيُ الظَّنِّ في مثل هذا السِّياقِ نفيًا لجميع ما يقابلُه إلَّا العِلمَ الذي هو بمعنى القطعِ، كما إذا قيل: لا شكَّ في كذا ولا ريبَ.

أمّا الشّكُّ فأصلُه يدلّ على التّداخُلِ، ومن ذلك قولُهم: شككتُه بالرّمح، وذلك إذا طعنتَه فداخل السِّنانُ جسمَه. قال عنترةُ:

فشَكَكْتُ بالرُّمحِ الأصَمِّ ثيابهُ *** ليس الكريمُ على القَنا بمُحرَّمِ

ومن هذا الباب الشّكُّ، الذي هو خلافُ اليقين، وإنّما سُمِّي بذلك؛ لأنَّ الشّاكَّ كأنّه شُكَّ له الأمران في مَشَكٍّ واحدٍ، وهو لا يَتيقَّنُ واحدًا منهما، فمن ذلك اشتقاقُ الشَّكّ. تقول: شككتُ بين ورقتَيْن، إذا أنت غرزتَ العودَ فيهما فجمعتَهُما[2].

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 11/385.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شكَّ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»